دعاية القرآن إلى حماية البيئة

د/ سمير ك اج
الأستاذ المساعد
كلية م س م كايمكولم

قد تكلم القرآن في آيات كثيرة للمحافظة على البيئة وحمايتها والابتعاد عن الأعمال المضرة السيئة للبيئة وسوء استخدامها، يقول تعالى: "كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّه وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْض مُفْسِدِينَ". فكلمة "ولاتعثوا" تضمن على معان متنوعة منها ولا ترضوا، ولاتفعلوا، ولا تتمادوا فاحتوت على سخط الله في الفساد .

على إطار القرآن الكريم أن البيئة مرافق عامة وثروة لجميع الكائنات، وعلى الإنسان استخدامها مع تمام الحذر وجميع التقوى. لا بد للإنسان من الرشد التام والحلم الكامل في الإدارة والاستفادة كما يشير القرآن: "وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْض بَعْدَ

إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ". ويوضح ابن عاشور: "وذُكر المحل الذي أفسدوا ما يحتوى عليه وهو الأرض لتفظيع فسادهم بأنه مبثوث في هذه الأرض لأن وقوعه في رقعة منها تشويه لمجموعها. والمراد بالأرض هذه الكرة الأرضية بما تحتوي عليه من الأشياء القابلة للإفساد من الناس والحيوان والنبات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله تعالى لها". وقال تعالى: "وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّه شَدِيدُ العِقَابِ". هنا أمر جلي من الله للقيام بواجبات الإنسان ومهماته شكرا لنعم الله. البيئة نعمة عظيمة من الله تعالى، فمن واجبات الإنسان أن يقوم برعايتها ويرتب حياته طبقا للبيئة والطبيعة، ولو اعتدى على البيئة تضمحل آلاء الله وتذهب نعم الله، وتحدث النكبات والكوارث.

يبين القرآن الكريم: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً". يعني بالخليفة أن الإنسان مسئول عن أمانته، الأرض أمانة من الله تعالى، فعلى الإنسان واجب أن يقوم بأمانته حق القيام حيث يحمي الأرض وممتلكات البيئة من الكائنات الحية وغيرها بحسن الاستخدام وتمام الاهتمام. وقالتعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْه النُّشُورُ". فمسؤولية الإنسان في حماية البيئة كبيرة جدا كمستخلف من الله في الأرض، فهي تشتمل على قواعد متعدّدة وإرشادات متنوّعة، منها:

•تجنّب الإسراف: يشرح القرآن الكريم أنّ الإسراف هو السّبب المهمّ لجميع المشاكل، خصوصا في مجال مشاكل البيئة، ولذلك يشير القرآن الكريم إلى تجنّب جميع أنواع الإسراف والإبعاد عنه في مناطق الحياة كلها كما يبيّن القرآن الكريم في عديد من الآيات: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُلَايُحِبُّالْمُسْرِفِينَ، "وَلَا تُطِيعُواأَمْرَ الْمُسْرِفِينَ."، "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِيمَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ."، "وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ".

•تمدّن الأرض وتحضّرها: وهي من المقاصد الأساسية التي خُلق لها الإنسان. يقول تعالى: "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا." هنا واضح جدا أن عمارة الأرض وإصلاحها وتمدّنها وتحضّرها وحظر الفساد فيها ومنعها من رسالة السماء وشريعة الأنبياء المتفقة عليها.

•منع الإفساد البيئي: في القرآن الكريم تحذير قويّ ضد الإفساد البيئي وتحريض بيّن على حفاظ البيئة، قال الله تعالى: "وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا". وقال: "وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ "

هذه الآيات تبيّن أنواع الفساد المحظور والممنوع، وفيها تلميح إلى تجنّب الظلم وترك الفساد والطغيان والتمادي في البيئة واستخدامها.

يقول القرآن الكريم: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْكَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ". والنتيجة أن الإفساد في الأرض يشمل الإفساد المادي العامر، وإماتة الأحياء، وتلويث الطاهرات، وتبديد الطاقات، واستنزاف الموارد في غير حاجة، وتعطيل المنافع وأدواتها وغيرها.

•الإنسان مسؤول عاقبة الإفساد البيئي:

إذا أساء الإنسان في البيئة واستغلّها سلبيّا وسيّئا، أصابته المصيبة واضطرّ على تحمّل العواقب الضارّة، كما يبيّن القرآن الكريم: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ". وتأكد هذاالمعنى الآية: "مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ."

حقا، المفسد في الأرض والمسيء في استخدام البيئة ملعون ومصاب بالكوارث الهائلة كما يوضح القرآن: "وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ". هنا يشمل الإفساد معنويّا ومادّيّا وخلقيّا وبيئيّا. وقال تعالى حكاية عن بني إسرائيل في القرآن الكريم: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً". ويقول تعالي مخاطبا

للناس جميعا: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ". هذه الآيات تعزّز معاني الآية المذكورة بأعلاها.

•التشجير:من السّبل التي ركّز القرآن الكريم للحفاظ على البيئة الالتزام بالتشجير والتخضير. ذكر القرآن الزروع والتشجير على معاني المنفعة والفائدة والجمال، يقول تعالى بيانا للمنفعة والفائدة في الزروع والتشجير: "وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ". ويقول تعالى: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ".

يتناول القرآن الجانب الجماليّ في الأرض قطعيّا، ولكنّ بعض الناس يظنّ أن القرآن لا يهتمّ بهذا المعنى ولا يعتني بالجانب الجماليّ في الأرض، وهذا باطل ووهم لا أصل له في إطار القرآن،

لأن الله يوضح صراحا: : "أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ"، وقال تعالى: "وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ". وقالتعالى: "انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

إذا أمعن القارئ النظر في هذه الآيات يتبيّن العبارات "حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ" و"مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ" و"انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ" كلها تحرّض على التمتع والتلذّذ بمنظر الجمال الرائع الجذّاب من أجناء المختلفة وأشكال الثمار المتنوّعة حيث تُنتج الحبور والسرور والبهجة والنضارة.

•رعاية الحيوان: للحيوانات أهمية كبيرة وفوائد عظيمة في حياة الإنسان. يقرّر القرآن أنّ هذه الحيوانات زينة وجمال للإنسان مع خدمتها الجبّارة في حياة الإنسان. حقا الحيوان جزء لا يتجزّأ لهذه البيئة. يبيّن القرآن الكريم هذه الحقائق في هذه الآيات: "وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ". وقال تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ، وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ."

•الحيوان أمة: يرى القرآن جميع الحيوانات أمّة كأمة الإنسان، فيه إشارة بيّنة إلى أهمية الحيوانات في توازن البيئة واهتمام القرآن بها والقيام برعايتها كقوله تعالى: "ومَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ."

• ممنوع التمثيلب الحيوان: كانت في الجاهلية يرسلون الذّبائح لآلهتهم ويمثّلون آذان الأنعام المتخصّصة نذرا لأربابهم ولأصنامهم، عاتبها القرآن الكريم ووصفها إضلالا من الشيطان كما يبيّن: "وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ".

المصادروالمراجع

1 .السعود، راتب سلامة. الإنسان والبيئة دراسة في التربية البيئية. عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.

(Al-Saoud, Rateb Salama.(2016) Man and the Environment: A Study in Environmental Education. Amman: Dar Al-Thaqafa for Publishing and Distribution, 1st ed.)

2 .السعود، راتب. دور التربية في التنمية. محاضرات الموسم الثقافي الخامس. الأردن: جامعة مؤته، ١٩٨٩م.

(Al-Saoud, Rateb. (1989).The Role of Education in Development. In Lectures of the Fifth .Cultural Season Jordan: Mutah University. Edition: 1st ed)

3 .يونس، طلال. التربية البيئية والمشكلات البيئة الحضرية. ورقة عمل قدمت إلى ندوة دور البلديات في حماية البيئة في المدن العربية, الكويت; منظمة المدن العربية. ١٩٨١م.

Younes, Talal. (1981). Environmental Education and Urban Environmental Problems. Working paper presented at the Symposium on the Role of Municipalities in Protecting the Environment in Arab Cities, Kuwait: Arab Cities Organization.

4 .الحفيظ، عماد محمد ذياب. البيئة حمايتها تلوثها مخاطرها. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط. 1، ٢٠٠٩م.

(Al-Hafiz, Imad Muhammad Dhiab. (2009), Environment: Its Protection, Pollution, and Risks. Amman, Jordan: Dar Safa for Publishing and Distribution, Edition: 1st ed.)

5 .الحمد، رشيد. و محمد سعيد صباريني. البيئة ومشكلاتها. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٠م.

Al-Hamad, Rashid, & Muhammad Said Sabarini. (1990), The Environment and Its Problems, Kuwait: National Council for Culture, Arts, and Letters, Edition: 1st ed.)

6 .صباريني، محمد ورشيد الحمد. الإنسان والبيئة (التربية البيئية). مكتبة الكتاني، ١٩٩٤م.

(Sabarini, Muhammad, & Rashid Al-Hamad. (1994), Man and the Environment (Environmental Education), Amman: Al-Katani Library, Edition: 1st ed.)

7. Al-Saoud, Rateb. The Role of Education in Development. Lectures of the Fifth Cultural Season. Jordan: Mutah University, ed.1, 1989.

8. https://www.researchgate.net/publication/386067473,22.10.2023

9. https://www.awraqthaqafya.com/3293,13.03.2023

.